بسم الله الرحمن الرحيم

«بديع الزمان» سعيد النُّورسي، ذلك العبقـريُّ الربـانيُّ، والمرشـدُ الإسلامي الجليل، العجيبُ في تأثيره والمتميزُ عن أمثاله من المرشدين والدعاة بِعُمقه العلمي واتِّساع آفاقه الفكرية، مـع الإِعـراض الكـليِّ عن الدنيا وزُخرفِها ودَوامِ مراقبته وذكرهِ لله... عاصَرَ أواخر الخلافة العثمانية وأوائلَ العهد الكماليِّ الأسود.

وقد شاء الله أن أكون أوَّلَ من عرَّف العالم العربي ببديع الزمان هـذا، من خلال ترجمةٍ ذات فصلين، ختمتُ بها كتـابي «مـن الفكـر والقلـب» بعد أن كنتُ نشرتُها في مجلة «حضارة الإسلام» الدمشقية عام ١٩٦١.

إلى هذا المرشدِ الربّاني الجليل يعـودُ الفـضلُ في اسـتمرار الـشُّعْلةِ الإسلامية الإيمانية، ممتـدةً مـن مغـربِ الخلافـة الإسـلامية، مخترقـةً ظلماتِ الكيد الـصهيوني، مبـدِّدَةً غيـومَ الحقـد البريطـاني اللّادينـي،

لتَتَحول اليومَ إلى إشراقةِ شمسٍ إسلاميةٍ تَنْبَلِجُ مِنَ الأفق ذاتِه الذي أَفَلَتْ فيه شمسُ الخلافة الإسلامية بالأمس.

ولقد كان في تدبير الله وقضائه أنْ يتَوَجَّه بديع الزمان النُّورسي إلى دمشق، وأن يزورَ مسجدها الجامعَ، مسجد بني أمية الكبير، وأنْ يُوَجِّهَ من على مِنْبَرِهِ وصاياه ونصائحه المتميِّزَةَ إلى أهالي دمشق!..

ولكن.. فما الحكمةُ في أن لا يختارَ هذا المرشدُ الربانيُّ المُلْهَمُ إلَّا دمشقَ، وأن لا يَخُصَّ إلَّا أهلَها دُون غيرِهم بنصائحه ووصاياه، وأنْ يحمِّلهم دُون غيرِهم أمانَةَ الالْتِزَامِ بأوامر الله، والاجتماعِ على كلمةِ الله، والتآخي النابذِ للخصومات وصراعاتِ الأهواء؟!..

لعلَّ الجواب عن هذا السؤال كان مَطوياً في ضمير السنوات الطويلة التي خلَتْ. ثُم إن الأحداثَ المبشِّرَةَ المتواليةَ اليوم أخرجتْهُ من طَوْرِ الخفاءِ وأبْرَزته إعلاناً متْلُوَّاً على سمع الدنيا: أنْ قد تبدَّدت ظلماتُ الكيد الصهيوني وانقشعَتْ غيومُ الحقدِ اللَّاديني، وعادتْ آصِرَةُ الأخوة الإسلامية والتعاون الإنساني على هَدْيٍ من وصايا بديع الزمان التي نادى بها على مِنْبَرِ جامع دمشق، بين بَاكُورَتَيْ الوحدةِ الإسلامية الآتية

بإذن الله وتوفيقه: شعْبَيْ تركيا وشامنا المباركة. وها هي ذي تَزْدَهِرُ اليومَ وتعودُ لتؤدِّيَ رسالتها الربانيةَ من جديد، وما التقارُبُ الذي آلَ إلى تَلاحُمٍ بين الدَّوْلتين على النطاقِ الرَّسميِّ، إلَّا ترجُماناً لأُخوة ما بين الشَّعْبين، وللنُّهوض بالرسالةِ التي يجْتمعانِ اليومَ على الإيمان بها والإخلاصِ لها، خدمةً للإنسانية وإنقاذاً لها من أحَابِيلِ الماكرين ودَجَلِ المنافقين وكَيْدِ المُتَاجرين باسمها والمتربِّصين سُوءاً بحقوقها.

وإذا تأملت في الوصايا التي أبى «بديع الزمان» أن يُسَمِّيها -تواضعاً منه- مواعظَ أو نصائحَ، وجدْتها في جُملتها دُستوراً للعمل الإسلامي الإنساني الذي ينبغي أن ينهض به كلٌّ مِنْ استانبولَ ودمشق، متلاحمَيْن مُتَضامنَيْن، ليكون فاتحةَ تلاقٍ فتعاونٍ على مُستوى أمَّتِنا الإسلامية جمعاء. وعندئذ نكونُ قد خَسِرْنا بغيابِ الخلافة الإسلامية اسْمَهَا فقط. وما أَيْسَرَ إنْ غَابَ مصطلحُها بالأمس أن يَحُلَّ مَحلَّهُ أيُّ مصطلحٍ آخر. وقديماً قالوا: لا مشاحَّةَ في الاصطلاح.

لعلَّ في الناس من يقول: إنَّكَ ترسُم في ذهنك خَيالاً مجنَّحاً يسْتَعصي على التحقيق.

وأقول: إن «بديع الزمان» حذَّر في خُطبته الشاميَّة تحذيراً كبيراً من اليأس، وألح على اتخاذ الأمل قريناً لا يَغيبُ عن البال، كيْ تتمكن العين مُن مشاهدة اِلفجرِ الصادقِ وقد أزفِ انبِلاجُهُ نُوراً ربانياً يُضيء جوانبَ الدنيا ويبدِّد ظلمات القهرِ والبغيِ والعدوان.

وإنَّها لَبَراعَةُ استهلالٍ يتوجَّه بها بديعُ الزمان من وراء قَرْن كاملٍ إلى أمَّتنا اليومَ من خلال التَّلاحُم الذي يتم اليوم بين هاتين الدولتين المتجاورتين المتآخيتين.

❁ ❁ ❁ ❁

اشْتَهَرتْ هذه الخطبةُ باسم الخطبة الشامية، وكان قد ألْقاها بديعُ الزمان باللغة العربية في أُخْرَيات أيام الخلافة الإسلامية.

ولكأنَّه أراد أن يبْعث منها زاداً من الأمل تُغالِبُ به الأمَّةُ اليأس الذي قد يَسْري في نفوس الكثيرين منها عند غُرُوب شمسِ الخلافة وهجومِ سُحُب اللَّادينية الداكِنَة. إنها مهما كانت دَاكِنَةً يجبُ أن نتذكر أنَّها مجرد سُحُبٍ تمرُّ وتمضي..

وها هي اليوم قد تبدَّدت ومضت.. وها هي ذي براعمُ الأمل

بالأمس قد تفتَّحت تَلاقياً على الحق اليوم. وصدق الله القائل:
﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ ﴾ [الأنبياء: ١٨].

ثم إن بديع الزمان أدْخَلَ خُطبته هذه في قائمةِ رسائل النُّور، موجهةً إلى الأتراك مترجَمَةً إلى التركية.. وقد وفَّقني الله لإعادتها من التركية إلى العربيةِ متجاوزاً ترجمةَ أخيه الملا عبد المجيد التي لا تخلُو من الرِّكَّةِ. وكنت نشرتها عام ١٩٦١ في مجلة حضارة الإسلام الدمشقية.

وها هي ذي تُنْشَرُ اليوم من جديد في رسالةٍ مستقلة، بعد أن تقادَمَ عليها العهدُ وطُوِيَتْ من ذاكرة الناس الذين كانوا قد قرؤوها قبل خمسين عاماً.

هي تُنْشَرُ اليوم مع عَوْدة تركيا إلى جُذورها وانْسِجَامها مع هُوِيَّتها وتحرُّرها من المَضِيقِ الذي حبستْها فيه معاهدةُ لُوزَان، وتوجُّهِها شطرَ عالمها الإسلام الذي هي مِنْهُ وهو منها، بعد أن غَامَرَتْ فولَّتْ وجْهها حيناً من الزمن شطرَ العالمِ الغربي الذي ليست منه وليس منها.

محمد سعيد رمضان البوطي

صباح الجمعة ١٤/ صفر/ ١٤٣١

٢٩/ ٠١/ ٢٠١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

أقدم أولاً ما ينبغي لكل ذي روح وعقل أن يقدمه للخالق العظيم الواجب الوجود من مظاهر الحمد والشكر. وأصلي وأسلم على رسولنا محمد المصطفى ﷺ المبعوث لتخليص الإنسانية من خبائث الأخلاق وتجميله بمكارمها.

وبعد فيا أيها الإخوان: لا تحسبوا أن موقفي على هذا المنبر بينكم هو موقف وعظ وإرشاد، فذلك أمر فوق جهدي ووراء طاقتي. وإنما هو أشبه ما يكون بموقف الولد أمام أبيه إذ يعود من المدرسة، ليقرأ عليه ما درسه ووعاه، ابتغاء تصحيح أخطائه والتلطف في تصويبه وإرشاده.

نعم، إننا معاشر الأكراد ـ كبقية الأعاجم الذين تشرفوا بالإسلام ـ أولاد للعرب وتلاميذ لهم. وإن من حقي أن أعرض وأقرر ما وعيته من دروس وعبر على هؤلاء الأساتذة الكرام، رجاء أن أكون مظهراً لتصويبهم وسعيداً بنقدهم وتوجيههم!..

لقد علمني الزمن في الفصل القصير الذي قطعته من حياتي الاجتماعية، أن سمو الأوروبيين في مدارج الرقي المادي بشتى مظاهره وأنواعه، وتوقفنا نحن المسلمين عند آخر محطة من محطات قروننا الوسطى، وجمودنا على تلك الحالة نفسها، يرجع إلى ستة أمراض خطيرة سرت في كياننا.

الأول: اليأس الذي فشا بيننا.

الثاني: موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية.

الثالث: العداوة التي أصبحنا نحبها أكثر من المحبة.

الرابع: تجاهل الرابطة العظمى التي تصل المؤمنين بعضهم ببعض.

الخامس: الاستبداد بمختلف أنواعه التي انتشرت وتمركزت وتمكنت فيما بيننا.

السادس: حصر الهمة في إطار المنفعة الشخصية وعدم الالتفات إلى المنفعة العامة.

وواضح أن هذه الأعراض العائقة لا تداوى إلا بستة مبادئ أخرى مقابلة لهذه...

أما المبدأ الأول، فهو:

الأمل

وأقصد به شدة الاعتماد على الرحمة الإلهية وقوة الوثوق بنصره وتأييده. وإنني لأبشركم ـ أيها العرب ـ بأن مجد العالم الإسلامي قد حانت عودته، وأنه قد أزف بزوغ الفجر الصادق لسعادة العرب في ظل دينهم. بل إنني لأبعث من هذا المكان صيحة رعدية تسمع الدنيا كلها، إن المستقبل لن يكون إلا للإسلام، وإن الحكم لن يكون إلا لحقائق القرآن. فاطمئنوا أيها العرب ولا تيأسوا، وتأملوا بنصر الله وعونه، فما كانت قسمته في يوم ما جائرة ولا ضيزى، وإنها لدعوى أنتجتها براهين كثيرة، وحسبي أن أذكر منها ما يلي:

إن الحقائق الإسلامية تمتاز باستعدادها لدفع أهلها في مراقي التقدم المادي والمعنوي معاً.. يشهد بذلك تاريخ طويل أحصى براهين كثيرة لإثبات ذلك ولعل مظهر هذه البراهين كلها يتجلى في هذه الحقيقة الواقعة التي تنبه إليها الغرب قبل أن نتنبه نحن إليها.

وهي: كلما تمسك أهل الإسلام بإسلامهم وأخلصوا في الاعتصام به ازدادوا رقياً وتمدناً، وكلما ضعف تمسكهم واعتصامهم به مال بهم الحال إلى التدني والاضمحلال والوقوع في ألوان من الهرج والمرج... على حين أن أهل الأديان الأخرى كلما ازدادوا تمسكاً بدينهم كانوا أبعد عن ركب المدنية والرقي، وكلما ابتعدوا عن دينهم كانوا أقرب إليها وأسرع إلى الاستفادة من ثمراتها.

وما أرانا التاريخ منذ فجر الإسلام إلى الآن مسلماً ترك الإسلام مرجحاً عليه ـ بالدليل والمحاكمة العقلية ـ ديناً آخر، على حين أن كثيراً من أتباع الأديان الأخرى لاسيما المثقفين منهم قد رجحوا بالمحاكمة والدليل العقلي دين الإسلام على أديانهم فتركوها داخلين فيه..

ولو أن أفعالنا وأخلاقنا انصبغت بالحقائق الإسلامية لكان في ذلك أعظم موجب لأن تأتي شمس الإسلام على ظلمة الضلالات والكفر الأوروبي من آخرها.

لقد أصبح من بدهيات الأمور لدى كـل إنـسان مثقـف اليـوم أن العالم لن يذوق طعم السعادة بغير دين.. إذ هو لعجـزه عـن مقاومـة المصائب الطبيعية المختلفة لابد لـه مـن نقطـة اسـتناد، وهـو لكونـه بفطرته ذا آمال ممتدة إلى الأبد مـع فقـره وفاقتـه لابـد لـه مـن نقطـة استمداد. ولذا فليس للبشرية المتيقظة طريق للنجاة من شقاء الحـيرة وسجن العجز البشري مـع التطلـع العقـلي، سـوى الإيـمان المطلـق بصانع العالم والتصديق التام باليوم الآخر، عن طريق اتباع الإسـلام الذي لا ينسجم غيره مع هذا العصر العلمي المفكر.

أجل أيها الإخـوان: إن في مجمـوع مـا وقـع في عـصرنا هـذا مـن حروب وحادثات وعلوم وفنـون نـذيراً أيقـظ البـشرية مـن سـبات عميق، ونبهها إلى قيمة هذا الجوهر الإنساني، وأثبـت مـن جديـد أن هذا الإنسان لم يخلق بكل ما فيه مـن عجيـب الخـصائص والملكـات ليعيش فقط هذه الأيام القصيرة من عمره في الدنيا، وإنما هو مخلـوق يهيئ نفسه هنا للبعث إلى الأبد، إنَّ في ماهيته لآمالاً تمتد امتداد الأبـد وآن لهذه الدنيا الفانية أن تستوعب تلك الآمال..

وهذه الحقيقة نفسها هي التي تنبه إليها أوائل أكثر الآيات القرآنية وأواخرها، منذ نيف وثلاثة عشر قرناً، إنها تقول للإنسان: لم لا تراجع عقلك وتفكيرك أيها الإنسان. لماذا لا تتأمل بقلبك حتى تعلم الحقيقة، لأي شيء لا تستسلم لعقلك مفضلاً عليه الاستسلام للجهل المركب؟!.. ولأي شيء لا تتفكر في حوادث العالم من حولك وفي ما جرى على الناس من قبلك حتى تعثر على طريق الحق وتنجو من مهاوي الضلال؟

يا أيها الإخوان الذين يضمهم هذا الجامع الأموي، ويا أيها الذين قد يسمعون كلامي في أي صقع آخر: كونوا في مقدمة من يعتبرون بسير الحوادث وحركة الأزمان، وليكن شعارنا دائماً هو: نحن خدام القرآن تابعون للبرهان ننظر إلى الحقائق الإنسانية بالعقل والفكر والقلب، ولا نترك البرهان للرهبان كما هو دأب أتباع بقية الأديان. وتأملوا بنصر الله وتوفيقه، فإن المستقبل الذي ليس فيه لغير العقل والعلم محل من الإعراب لن يتسع صدره لغير حقائق القرآن وأحكامه. لقد أخذت الحجب التي كانت تمنع بعض قارات العالم

من رؤية شمس الإسلام تنزاح وتنقشع..

لقد ابتدأ هذا الانقشاع منذ نصف قرن من الزمن، ولئن كانت أيامنا هذه تستضيء بالفجر الكاذب فإن إشراق الفجر الصادق سيعقبه لا محالة.

نعم لقد كانت الحجب التي منعت حقائق الإسلام عن الانتشار مكونة من ثمانية أسباب:

أولها: جهل الأجانب واختناقهم بأحابيل الهوس والخرافات.

الثاني: وحشتهم وانطوائيتهم.

الثالث: تعصبهم الأعمى لدينهم.

ـ وقد زالت هذه الأسباب الثلاثة بفعل المدنية الحديثة والنهضة العلمية ـ.

الرابع: رآسة القسيسين وتحكمهم بالدولة.

الخامس: تقليد الأجانب لرهبانهم والروحانيين منهم، بلا تحكيم للفكر والعقل.

ـ وهذان السببان باشرا بالزوال بفعل حرية الفكر وعدوى التطلع إلى تحري الحقيقة ـ.

السادس: الاستبداد بمظاهره وأنواعه المختلفة.

السابع: الأخلاق السيئة النابعة من مجافاة الشريعة الإلهية.

ـ وهذان المانعان لا يزولان إلا عندما يرتفع الاستبداد الاجتماعي فيما بيننا كما ارتفع الاستبداد الفردي، وفي ظني أن هذا الاستبداد سيتم انقشاعه بعد أربعين سنة بإذن الله تعالى ـ .

والثامن: ما يتخيله بعض السطحيين وقصيري النظر من تناقض بين بعض القضايا العلمية وبعض ظواهر الحقائق الإسلامية.. ولكن هؤلاء السطحيين حينما يتخلصون من سطحيتهم يدركون أن الآيات التي رأوها مخالفة لنظرياتهم العلمية، ليس فيها أي مدار للاعتراض على شيء من جوهر تلك الآيات.

وفي رسالة (المعجزات القرآنية) كشفت تحت كل آية من هذه الآيات عن لمعة من لمعات إعجاز القرآن تقصر عن التطاول التي نقدتها فلسفة المتفلسفين وعقولهم، ولو أنهم اطلعوا على تلك اللمعات لخجلوا من النقد وادعائهم العلم..

وعلى كلٍّ فهذا المانع أيضاً محكوم عليه بالزوال، ولكن ريثما ينضج العلم وينتهي من دور التجربة والنظريات الوهمية..

أيها الإخـوان المـستمعون: ألـيس في هـذه البراهـين مـا ينـتج أن المستقبل سيكون للإسـلام وحـده، وأن الـدين العيـسوي سـوف لا يلبث ـ بعد أن يتجرد عـن الخرافـات والتحريفـات ـ أن يلتقـي مـع شريعة الإسلام عقيدة وسلوكاً؟..

❁ ❁ ❁ ❁

أما المبدأ الثاني، فهو:

اليأس
أشد الأمراض فتكاً بالأمم

أيها الإخوان: إن محصول التجارب التاريخية منذ نشأة التاريخ إلى الآن قد أثبت أن أشد الأمراض فتكا بالأمم إنما هو اليأس!.. فاليأس هو الذي فرق فئات المسلمين وبددهم وقدمهم ذليلين أسرى للأجانب والمستعمرين، وأمات مما بينهم روح حياتهم الاجتماعية، ذلك اليأس هو الذي أمات أخلاقنا العالية فأصبح أحدنا لا يعرف للخدمة الاجتماعية معنى ولا يضع همه إلا في تحقيق منفعته الشخصية، ذلك اليأس، هو الذي حطم قوتنا المعنوية التي طالما كانت هي المسيطرة على الشرق والغرب، وإذا بهذا اليأس يحيل أربعمائة مليون من المسلمين إلى أسرى للظَّلَمة الكافرين!.. ذلك

اليأس، هو الذي جعل أحدنا يرى في فتور وكسل رفيقه سبباً مبرراً لتكاسله هو أيضاً وتقاعسه عن التجاوب مع مقتضى الشهامة الإسلامية الدافعة إلى الثورة والجهاد، فيقول:

كلُّ أهلِ الدهرِ غمرٌ وأنا

منهمُ فاتركْ تفاصيلَ الجُمَلْ

فيا أرباب شهامة الإيمان بالله: قوموا إلى هذا الذي أمات حياتنا الاجتماعية وأخلاقنا العالية ومجدنا الإسلامي، فاقتصوا منه بسيف قوله تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

واقصموا ظهره بحكمة: «ما لا يُدرك كله لا يترك كله».

واعلموا أن في اليأس أكبر تحد لحقيقة: «أنا عند ظن عبدي بي».

وأن الخوف والجبن من دأب العاجزين وليس من شأن المسلمين.

لاسيما العرب الذين لا يزال النوع البشري يفتخر بخصائصهم وسجاياهم الرفيعة.

❁ ❁ ❁ ❁

أما المبدأ الثالث، فهو:

الصدق

لقد أثبتت لي الأيام بما لا مجال للشك فيه أن اعظم ركن في أساس بناء المجتمع الإسلامي هو الصدق!.. إنه السلك الذي ينتظم فيه وحده جميع السجايا والأخلاق الرفيعة، فما لم يكن حبل الصدق متصلاً بين الأفراد في حياتهم الاجتماعية فإن من المحال أن يتداولوا بينهم أخلاق الإسلام ومبادئه. إن الثقة والإخاء والتعاطف والإيثار، لا يشيع شيء منها بين الناس ما لم يتعارفوا فيما بينهم بالصدق.

ولست أعني بالصدق ما قد يسمى في باب الفتوى أنه صدق، إنني أعني بهذه الكلمة أخص معانيها وأدقها، إن الرياء على هذا من أحط أنواع الكذب، وإن تلك الحيل المخادعة لا تختلف عنها أي اختلاف. إن الكذب أيها الإخوان افتراء على حكم الله وأمره.

وما كان الكفر بشتى مظاهره كفراً إلا لأنه ينبوع الكذب.

وما كان الإيمان بالله إيماناً إلا لأنه أساس الصدق وسبيله الوحيد.

وإذا كانت المسافة بين الإيمان والكفر ـ في قياس المسافات الحسية ـ هي بعد ما بين مشرق الشمس ومغربها، فلاشك أن هذه المسافة نفسها تفصل ما بين الكذب والصدق. وبينهما تكمن حياة الأمم ودمارها.

أجل أيها الإخوان: إن الله عز وجل حينما أذن بذلك الانقلاب العالمي ببعثة نبيه محمدﷺ، وضع للناس مبدأ الإيمان فوق أساس الصدق، وألقى مبدأ الكفر والإشراك في أقصى الطرف الثاني فوق أساس الكذب، ومن ثم فقد كانت المسافة بين خطي الصدق والكذب في عصر الصحابة مسافة ما بين الجنة والسعير والشقاء والسعادة، ولقد انطوى عصر الصحابة رضوان الله عليهم دون أن يقذف أحدهم بنفسه شبراً واحداً نحو «مسيلمة الكذاب»..

لقد كان هذا هو تكوينهم الفطري، إذ كان ذلك أساس إيمانهم وعنوان هدايتهم، ولقد اطمأنوا إلى أن مفاتيح السعادة والغنى والمجد والسلطان كلها تتجمع في قبضة الصدق، ومن أجل هذا لم يُتْعب علماء الشريعة أنفسهم في التحري عن حال الصحابة حيال

رواياتهم للحديث، فصحابة رسول الله ﷺ عنوان للصدق، وعنوان الصدق لا يحتاج إلى تزكية..

ولكن هذه المسافة بين خطي الصدق والكذب أخذت تتقارب بعد ذلك كلما تقاربت المسافة بين الكفر والإيمان مع مرور الأحداث وانطواء الزمن، كما يتقارب خطان متباعدان ليتلاقيا على زاوية منفرجة، ولقد رأينا اليوم كيف تلاقى هذان الخطان فعلاً، بل ربما تصارعا مع تصارع المصالح، فعدا خط الكذب على الصدق ثم افترقا ثانية ليصبح الكذب تدبراً محموداً وينقلب الصدق سذاجة ممجوجة.

نعم أيها الإخوان، لقد قضت هندسة السياسة بتلاقي هذين الخطين، بل وتداخلهما، منذ أن أصبح أساس كل منهما مجرد ما يسمونه بالمصلحة وربما قال البعض: إن الكذب من أجل المصلحة أمر أجازته الشريعة نفسها، ولكني أقطع بأن تطور الزمن قد نسخ هذا الجواز. إن ما أفتى به بعض العلماء يوماً ما من جواز الكذب من أجل المصلحة لا يُفتَى به في مثل هذا الزمان. إذ المصلحة اليوم ليست سوى مجموعة الرغبات التي يحكم السياسيون بأنها مصلحة..

وهي أمور نسبية غير منضبطة تختلف وتتناقض من حين لآخر، ومن أجل ذلك فلا يخلو الحال من سوء التقدير لها، إن مثل هـذه المـصلحة لا تصلح بحالٍ ما أن تكون مدار للفتوى كما أن المشقة لا تصلح بحـالٍ مـا أن تكون مداراً لصحة القصر في السفر ولا يجوز اعتبارها علة للحكـم، لعدم انضباطها ولتفاوت حقيقتها وسهولة استغلال النـاس لهـا، ومـن أجل ذلك جعل العلماء حقيقة السفر نفسه علة للحكم..

من أجل هذا، فليس أمام المسلم اليـوم إلا الـصدق أو الـسكوت ولا ثالث لهما!.. وإلا فاعلموا أنكم لـن تنجـوا مـن قلاقـل الأمـور واضطراب الأحوال وعواصف الفتن والانقلابات والحروب!..

إن القاعدة أيها الإخوة هي أن كل ما نقوله ينبغـي أن يكـون حقـاً وصدقاً، وليس علينا أن نقول كل مـا هـو حـق وصـدق، ولكـي لا نتورط فيما يخدش هذه القاعدة فإن ثمـة ملجـأ حـصيناً لنـا ألا وهـو السكوت... السكوت، ولا الكذب!.

❁ ❁ ❁ ❁

وأما المبدأ الرابع، فهو:

المحبة

لقد علمت مما أملته عليَّ حياتي الاجتماعية التي أدبرت عنها أن أَلْيَق المبادئ بالحب هي المحبة، وأن أولاها بالبغض هي الكراهية والخصومة..

ذلك أن أضمن ما يوفر الراحة والاستقرار لحياة البشرية إنما هو التآلف والمحبة، وأقرب ما يسبب لها الفتن وألوان البلايا والمحن هو العداوة والخصومة.

فنقابل إذاً المحبة بالحب، والخصومة بالنفرة والكره. ولقد تجلى لنا جميعاً من خلال هذه الحرب الماضية مدى ضرر العداوة والبغضاء بالأمم على اختلافها، ولقد بدا واضحاً أن لا فائدة في الحقد والخصومة غير اندلاع المزيد من نارهما التي تأتي على كل أخضر ويابس.

فلنجعل من أسلحة جهادنا في سبيل الله سلاح الحب والتآلف ومقابلة الأعداء بقلوب بيضاء نقية تخفق بحب الإنسانية والخير للجميع.

وإن كل ما شرعه الله لعباده من أحكام إنما هي بجملتها وسائط وأسباب لتحقيق هذه المحبة في القلوب، ومن الجنون أن نستبدل عن أسباب الحب هذه أسباباً لاستثارة الكره والبغضاء.

غير أن أرباب الضلال إذا لم تشرق أمامهم سبل هذه المحبة وراحوا يتجاوزونها إلى فجاج الخصومة والبغضاء، كان علينا أن نقابل خصومتهم بالخصومة وبغضاءهم بالبغضاء غيرة على سلامة الأسرة الإنسانية كلها في ظلال المحبة والإخاء وحفاظاً على روح المحبة من الأشباح التي تتهددها وتحوم حولها..

إن المحبة والبغضاء كالنور والظلام، لا يجتمعان في قلب واحد ولا يمكن التوفيق بينهما في مبدأ واحد. فلنطارد ظلام البغضاء من أفئدتنا بنور المحبة، ولنوقد هذا النور بإحياء شُعب الإيمان في النفس.

❁ ❁ ❁ ❁

وأما المبدأ الخامس، فهو:

الغيرة على المصلحة العامة
والشعور بمسؤوليتها

لقد تعلمت من ملابسات (الشورى الشرعية) التي يُنادى بها اليوم، أن المجتمع الإنساني ـ لاسيما الإسلامي منه، في هذا العصر ـ من الترابط والتفاعل بحيث أن الذنب الذي يرتكبه فرد في عقر داره، سرعان ما يعظم ويتمطى حتى يصاب بعدواه أمة بأسرها، ويصبح ذنب أمة لا ذنب فرد، وأن الحسنة التي يؤديها فرد واحد من الناس سرعان ما تعظم هي الأخرى ويمتد لها فروع وأوراق وأغصان حتى تصبح حسنة أمة بكاملها يتفيأون ظلالها وينعمون بثمارها.

ومعنى هذا أن مجتمعاً هذا شأنه لا مكان لمعنى المنفعة الشخصية أو الأنانية الفردية فيه، إنه أشبه ما يكون بكتلة من الناس يحزمها رباط عشائري وثيق يجمع أمرهم على مصلحة واحدة ويد واحدة،

فإذا هدد الخطر فرداً منهم هب سائرهم لمقاومة ذلك الخطر، وإذا جني أحدهم جناية فإن الجميع يشعرون بمسؤوليتهم تجاهها وضرورة الحساب من أجلها..

إن حزام الوحدة الإسلامية في عالمنا الإسلامي هذا أيها الإخوان أقوى بكثير من ذلك الحزام العشائري الذي يجمع أهله في ظل المصائب والأفراح.

أفما كانت الخلافة الإسلامية التي أسستموها أنتم ثم أتمها العثمانيون من بعدكم رابطة أحالت ملايين من المسلمين إلى أسرة واحدة متضامنة متآخية وربطتهم بسلسلة نورانية واحدة حيرت العقول والألباب؟..

إن هذه الحقيقة تدعوكم أن تعلموا أن سيئة واحدة إذا ألقاها فرد منا في ساحة هذا الوجود، يوشك أن تصبح بعد سنوات من الزمن جريمة لا تنسب إلى فرد ولا تنحصر في شخص، بل تنصبغ بها ملايين من النفوس الإسلامية. وستكشف لكم الأيام والأعوام القادمة عن أمثلة كثيرة لصدق هذه الحقيقة.

فلا يقولن منكم قائل: إن منفعتي أو أنانيتي الشخصية لن يتضرر بها شعب أو جماعة فليس أحد مسؤولاً عني ولست مسؤولاً عن أحد،

فإن المنفعة الشخصية لا وجود لها في عالم يعيش الشخص فيه متفيِّئاً بظل الجماعة. ولا تقولوا أيضاً قولة أولئك الكسالى الانطوائيين: (لا علينا ولا لنا) ثم تقعدون في زاوية الكسل تجترون منافعكم الشخصية وتعيشون في آمالكم الفردية، فليس ذلك والله من دأب أولي الشهامة والبسالة!. وإنه لعيب عظيم أن يقتنع المسلم بأحلامه الفردية ويدبر عن السعي والجد من أجل الملة الإسلامية واتحاد المسلمين.

واعلموا أن السيئة الفردية كما تفشو وتتسع حتى تغدو ألف سيئة اجتماعية، فكذلك الحسنة الفردية النابعة عن قدسية الإسلام، لن تعيش منحصرة على فاعلها بل سرعان ما ترتقي وتمتد حتى تظل بخيرها ملايين من أفراد المسلمين.

فقولوا لي أين تجدون في هذا المقام مكاناً لائقاً لقول: (لا لنا ولا علينا).

حضرات الإخوان السامعين، أيتها الأمة العربية العظيمة: إنني لا أصيح هذه الصيحة فيكم لوعظ أو نصيحة، ولكنني أتيت أبحث عندكم عما فعلتموه بحقوق أمثالنا من الأكراد والفرس والهنود. لقد كنتم: أنتم العرب والأتراك، الأمناء على دين هؤلاء المسلمين

ووحدتهم ولكنكم أخلدتم للكسل، وجنحتم إلى المكاسب الفردية والشخصية، فاتسعت سيئاتكم حتى وسعتنا جميعاً، وها نحن اليوم نترامى معكم في أمواجها وأهوالها، فاستيقظوا لحقوقنا نحن إن كنتم قد أصبحتم في حق أنفسكم من الزاهدين!.

إنني أوجه كلامي وخطابي إليكم أولاً، لأنكم كنتم أساتذة العالم الإسلامي وأئمته ومجاهديه، ثم إلى الأتراك ثانياً لأنهم خلفاؤكم في هذه الوظيفة القدسية: أنتم أسستموها، وهم شاركوا فيها. أنتم بنيتموها، وهم خدموها.

إن الكسل والتخاذل ذنب والذنب لأمثالكم يا عرب عيب وأي عيب.

ولكنني شديد الأمل في رحمة الله أن يلهب أفئدتكم ويوحد صفوفكم ويوفقكم لتخليص حياتنا الإسلامية عن السوء الذي يتربص بها وأن يوفقكم لتجديدها كما استعملكم في تأسيسها، إنني قد لا أرى بعيني ذلك اليوم الذي آمل فيه، ولكنني عظيم اليقين بأن جيلنا الآتي سيراه.

إنني أرجو أيها الإخوان أن لا يذهب بكم الوهم إلى أني أحرك

أشواقكم للاشتغال بالسياسة، حاشا، إن الحقيقة الإسلامية تعلو فوق كل سياسة، إن السياسة تصلح أن تكون خادماً للإسلام، وحاشا أن يغدو السيد خادماً لخادمه.

ولكني أريد أن أوضح لكم بأن الهيأة الإسلامية عامة أشبه ما تكون بجهاز معمل كبير فيه عجلات وأشرطة وآلات كثيرة متداخلة، لكل منها وظيفة عمل، فإن تخلف واحد منها عن العمل لحظة أو تجاوز حده، انتشر الفساد والعطب في بقية الأجزاء الأخرى، لا محالة. ونحن بسبيل أن نشكل جهاز معملنا الإسلامي مرة أخرى، وإن هذا يدعوكم جميعاً أن لا تنشغلوا بالخصومات والمنازعات الشخصية، وسوف لن ينجو من شقاء الدنيا وعذاب الآخرة كل من يستدبر العمل في الجهاز الإسلامي ليولي وجهه شطر الآمال والمطامع الشخصية.

وإنني أعرض على حضراتكم ـ بكل أسف وألم ـ أن الأجانب كما غصبوا كثيراً من أموالنا واستولوا على كثير من أوطاننا، فإنهم كذلك سرقوا منا كثيراً من أخلاقنا الإسلامية العالية والسجايا القدسية الرفيعة، ولقد أسسوا على ما سرقوه منا حياتهم ونهضتهم الاجتماعية،

ولقد أخذنا منهم ويا للأسف بدل تلك الأخلاق والسجايا الرفيعة رذائل الطبائع والأخلاق.

إن مما اقتبسوه منا أنهم لا يتأثرون بالموت الفردي ويتعزون بالحياة الاجتماعية، يقول قائلهم: لا ضير إن أنا مت، فالملة حية باقية ولي في حياتها حياة مستمرة، مع أن هذا المبدأ من أخص ما امتازت به أخلاق المسلمين من قبلنا. ولقد اقتبسنا منهم في مكان ذلك حصر الهمة في المطامع والمنافع الشخصية واللامبالاة بالمصلحة العامة. يقول أحدنا: ماذا أفعل بسعادة أمتي إن لم أمتع بالسعادة نفسي؟

إن مثل هذه الأفكار الحمقاء إنما سرت إلينا من خارج عالمنا الإسلامي لتسميم حياتنا وتبديد قوتنا لقد علمنا الإسلام كيف ينشط الفرد من المسلمين بهمة الأمة الإسلامية بأسرها، وبذلك تغدو قوة الفرد الواحد في مستوى قوة ملته كلها، ثم علمتنا أوروبا كيف ينشط كل فرد من المسلمين لشخصه ولحساب مصلحته، وبذلك عادت قوة الأمة الإسلامية كلها إلى قوة شخص واحد يعكف على مراسيم عبوديته للبطن والفرج.

وأما المبدأ السادس، فهو:

إقامة الشورى الشرعية

إن سبيل الاستفادة من الحياة الاجتماعية وما فيها من ملكات وثروات واستعدادات محصور في إقامة الشورى الإسلامية في المجتمع، وإني لأعتقد أن المشورة الحقيقية عبر الأزمنة والعصور هي التي تجعل الأجيال تتلاقح فيها الخُبُرات والتجارب، وهو السلم الوحيد الذي ترقى منه البشرية إلى مراتب العز والمجد.

وما تخلفت قطعة آسيا هذه عن بقية قطاع العالم الأوروبي في الرقي والتقدم إلا بسبب ما يرسف فيها من قيود وأغلال.. لقد نجح الأجانب أخيراً في ضرب أغلال الاستبداد على أقدام أربعمائة مليون من المسلمين منتشرين في قطاعات آسيا وأفريقيا، وليس من سبيل لنا إلى كسر هذه الأغلال إلا بالالتجاء إلى الحرية الشرعية نقيمها بيننا ونتداعى إلى تعاون إسلامي في ظلها.

ثم إن الحرية الشرعية، إنما تنبع حقيقتهـا مـن الإسـلام، وإن مـن أسسها: (أن لا يذل المسلم ولا يتذلل)..

(من كان عبداً لله، لا يكون عبداً للعباد)..

(لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله)..

ألا فليحي الصدق، ولا عاش اليأس، فلتدم المحبة، ولتقم الشورى.

إن الملام على من اتبع الهوى، والسلام على من اتبع الهدى.

من رسائل النور

لبديع الزمان سعيد النورسي

قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكࣱّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ

ترجمة

محمد سعيد رمضان البوطي

نشرت عام (١٣٨٣هـ)

❋ في تاريخ ١٣٣٨ ذهبت إلى انقره وشاهدت فرح المسلمين هناك باندحار اليونان وبغيهم، وكنت أنا أيضاً ممن فرح بهذه النعمة.. ولكنني أبصرت ثعابين الزندقة تتمطى متسللة إلى صفوف هؤلاء المسلمين، فأفزعني ذلك وصرخت مستغيثاً الله أن يحفظ المسلمين من شر يستهدف فيهم رفع الإيمان وتقويض المبادئ والأحكام. ولقد استشرى هذا الشر فيما بعد فابتلع الأفكار الإسلامية وخنق كثيراً من النوازع الإيمانية، وكنت قد كتبت من قبل هذه الرسالة مختصرة باللغة العربية، فوجدت أن من الواجب توسيعها وإعادة كتابتها باللغة التركية عسى أن تقارع بغي الإلحاد وقذارته في الأدمغة العفنة. ولئن وجدت في هذه الرسالة شدة في الألفاظ وغلظة في بعض العبارات، فذلك لأن كثيراً من هؤلاء الملاحدة سلكوا في سبيل تزييف الحقائق الإيمانية مسلكاً أطفأوا فيه شعلة عقولهم وراحوا يقارعون البدائه في تحد شنيع، وإلا فليس من دأب رسائل النور إلا الرفق واللين (النورسي).

تأمل في هذه الآية وما فيها من الاستفهام الإنكاري، إنها تدل على أن الحكم بوجود الله ووحدانيته من أوضح البدائه لكل من أبصر بعينه مرة هذه السموات والأرض، غير أنه بالرغم من ذلك فإن فيما يلفظ به بعض المسلمين اليوم كلمات أقل ما فيها أنها تومئ إلى الكفر بهذه الحقيقة الكبرى.

وسأتناول منها بالبحث ثلاث كلمات لا يرددها في الغالب إلا أحمق ذاهل عن حقائق الأمور، وملحد جعل من برذعة الحاده حلة يفاخر ويتباهى بها.

إحداها: أوجدته الأسباب.

الثانية: تشكل بنفسه.

والثالثة: اقتضته الطبيعة.

إنني أتجه بالخطاب إلى هؤلاء الذين يروجون هذه الكلمات ويلحون على تكرارها في كل مناسبة لأقول لهم: إن حدوث هذه الموجودات لا يخلو من إحدى حالات أربع لا خامس لها.

فإما أن الأسباب المادية قد أوجدتها.

وإما أنها أوجدت نفسها بنفسها.

وإما أن الطبيعة قد أوجدتها.

وإما أن الخالق ذا الجلال هو الذي أبدعها.

وإذا ما أبطلنا الاحتمالات الثلاثة الأولى فلا مناص من اليقين بثبوت الحالة الرابعة ولا سبيل مطلقاً إلى الشك أو التردد فيها.

إن محالات كثيرة تنبع من الأخذ بمبدأ هذه الكلمات الثلاث القذرة، ولو ذهبت أعدها بتفصيل علمي موسع لتجاوزت تسعين محالا من المحالات التي لا يشك فيها علم عالم ولا عقل عاقل، ولكني سأكتفي من بيان ذلك كله بعشر فقط أذكره في عبارات موجزة سريعة.

الكلمة الأولى:

أوجدته الأسباب

إن «المحال الأول» الناتج عن كلمة «أوجدته الأسباب» يظهر جلياً في هذا المثال:

وقع احتياج إلى معجون مستحضر من بضعة عقاقير وحشائش مختلفة الأنواع والمقادير، وقام الصيدلي بتحضير هذا المعجون طبق موازين دقيقة بحيث لو أن بعض الأجزاء طغى على الحد المطلوب أو قل عنه لأدى ذلك إلى عكس الفائدة المرجوة منه.

فلو أن زلزالاً مثلاً وقع بين تلك القوارير التي أستحضر منها الدواء فتكسرت وسال ما فيها وجرى بعضه إلى بعض فاختلطت الأجزاء المتنوعة وتلاقت إلى بعضها، فهل يمكن أن يكون المحصول المركب من ذلك الخليط مساوياً لذلك الخليط الذي استحضره الصيدلي بميزانه الدقيق وخبرته العلمية وحسابه المنظم؟ وهل يقبل مثل هذه الدعوى سوى من فاتته نعمة التفكير والعقل؟

إن كل ذي حياة على هذه الأرض ما هو إلا معجـون رائـع ركـب من ملايين الأجزاء العجيبـة المختلفـة أخـذت بمقـدار .. وضـم إلى بعضها بحكمة ونظام .. فلا ريب أن إسـناد هـذا الـشكل إلى عمـل الأسباب المادية الجامدة والعناصر الميتة الـصامتة أشـنع وأقـبح مـن ذلك المعجون الذي حصل من تصادم القوارير وسيلان ما فيها!...

«المحال الثاني» إن إسناد خلق الأشياء إلى أسبابها المادية يستلزم أن يكون للكثير من العناصر والأسباب الدقيقة المتناقضة تأثير مباشر في وجود الأشياء... والحال أن تلاقي الأسباب المختلفة المتباينة إلى بعضها باتفاق من جهة ودقة موزونة من جهة أخرى في خلق البعوض مثلاً إن لم يكن من أجل المحالات فهو من أشد الممتنعات، لأن جسم ذلك البعوض مع صغره ذو علاقة بأكثر العناصر والأسباب المادية المبثوثة في الكون، بل إنه بحق خلاصة وزبدة لها، فلو سلمنا إدعاء استناد هذا الموجود الصغير إلى تلك الأسباب للزم أن تحتشد جميع العناصر والأسباب كلها بالذات عند إيجادها، بل يجب توفرها كاملة في جسمها، بل في حجيرة من حجيرات جسمها ، لأن السبب المادي ينبغي أن يكون موجوداً مع المسبب داخلاً فيه، أي فينبغي أن تكون هذه العناصر المادية المتناقضة كلها مجتمعة على الدوام تعمل عملها في كل حجيرة من حجيرات جسم البعوض دون من يدفعها إلى هذا التلاقي والتفاعل!!..

وهل هذا إلا قول يستحي بلهاء السوفسطائيين من الهذيان به؟

«المحال الثالث» إن القاعدة البدهية تقول : (إن الواحد لا يـصدر إلا عن الواحد) أي كل ما يتصف بوحدة النظام والتنسيق والانـسجام في مظهره وشكله فلا بد أن يكون المؤثر فيه واحداً ،ضرورة أن التأليف بين المتنافرات والجمع بين المختلفات في وحدة نوعية أو جنسية لا يمكن أن يتم إذا ما اجتمعت عليه أكثر من إرادة ويـد واحـدة. ولا ريـب أن هـذا العالم العظيم تجمعه كله وحدة الانسجام والتنظيم، فإسناد وجوده بعـد ذلك إلى الأسباب الجامدة المختلطـة التـي لا شـعور لهـا ولا عقـل مـن أعظم الخرافـات المـضحكة!.. هـذا إلى أن الأسـباب الماديـة لا يمكـن تأثيرها إلا بواسطة التماس والمباشرة، وغير خافٍ أن تماسـها إنـما يكـون بسطح الموجودات وظاهرها ، مع أن في بواطنها ووراء حـدود المحـس منها من الانتظـام والغرابـة والانـسجام مـا لـيس في ظواهرهـا، فـأين أسبابها المادية الموجدة لها ؟ بل أين من يستطيع أن يفرق في غوص ذلـك الباطن بين السبب المؤثر والمسبب المتأثر يفصلهما ويفرق بينهما في الزمن والجوهر والحدود؟!..

❁ ❁ ❁ ❁

أما الكلمة الثانية:

تشكل بنفسه

فهي أيضاً تنطوي على محالات لا تعمى عنهـا الأبـصار.. غـير أن المفكر المعاند من شأنه أن يبلغ به الكبر مبلغاً يلبسه برذعة الحمـق؛ إن الإنسان العادي من شأنه أن لا يخـضع لمحـال واحـد يـتراءى لعقلـه ولكن مثل هؤلاء المعاندين لا يبالي أن يدافع عن حشد من المحالات النابعة عن الباطل الذي أقسم أن لا يتخلى عنه.

إنك أيها الإنسان لست مادة بسيطة جامدة ملقاة على سـطح هـذا الوجود، إنما أنت جهاز معمل دقيق كبير بلـغ في دقتـه غايـة الروعـة والانسجام.. إن في جسمك ذرات عاملـة سـاعية عـلى الـدوام.. إن لجسمك تفاعلاً ـ في غاية الانتظام ـ مع سائر مظاهر الوجود التي من حولك، إنها أشبه ما يكون بتفاعل البيع والشراء والأخذ والإعطاء.. إن ملايين الذرات العاملة في جسدك تظل ساهرة على حفظ سير هذا التفاعل ودقة انتظامه، وهكذا تعلـم أن الانـسجام لـيس بـين ذرات جسمك وحده ، بل بين مجموع هذه الذرات والوجود الخارجي مـن

حوله، إن هذا يعني أن ثمة وحدة انتظام سارية بأتم دقة بين وجودك العضوي ووجود سائر الكائنات من حولك!... فإذا رفضت أن توقن بأن الذرات الساعية في جسدك إنما تتحرك فيه طبق قانون الخالق الأزلي العظيم، لزمك أن تقول: أن للذرات التي تتفاعل في حجيرة واحدة من حجيرات عينك مثلاً، عقلاً متفلسفاً هائلاً وضع به قانون الانسجام والتطابق بين كل ذرة من جسدك من جهة وذرة من ذرات الوجود من حولك من جهة أخرى، سواءٌ كان ذلك الوجود هواء أو ضياء أو طعاماً أو شراباً أو أي شيء آخر ، كما ينبغي أن يكون لكل ذرة من هذه الذرات فكر يدرك منابع دهرك وعناصر آبائك وأجدادك ويتصور ماضيك ومستقبلك... يا لخرافة العناد المتكبر!!..

أما إذا كان جوابك عن عالم الذرة ونظامها نفس جوابك عن عالمك الحسي هذا، أي إن له أيضاً أسبابه المادية وتفاعله الذاتي، فإن السؤال سيلاحقك عن العالم الثالث الذي من ورائهما والذي هو أدق من كليهما... وهكذا تتسلسل العوامل والأسباب إلى غير نهاية، وتمتد إلى حيث يضل ورائها عناد المعاندين وجحود المتكبرين.

وأما الكلمة الثالثة:

اقتضته الطبيعة!!..

ويتفرع عنها سلسلة من مظاهر التهافت المضحك، نجمل بعضها في ما يلي:

١ـ إن صاحب هذا القول ينبغي أن يلتزم أن كل ذرة من ذرات الوجود تنطوي على مجموعة العوامل والمؤثرات التي أبدعت هذه المجموعة الكونية، وأنها تشتمل على القدرة والطاقة الكافية لإبداع عالم كامل كالذي نراه من حولنا، وما على هذه القدرة إلا أن تنقذ ذلك وتعمل عملها!!..

إذ ما دام في كل ذرة من ذرات هذا الوجود طبيعتها الخلاقة المدبرة الحكيمة منفصلة عن غيرها غير مرتبطة بقيادة عامة لها ولأمثالها فلا مناص من التزام هذه النظرية... تماماً كالذي يرى شعاع الشمس يسطع من قطرات المياه وقطع الزجاج والأجرام الشفافة، ويأبى إلا أن يزعم أن في كل جرم من هذه الأجرام (طبيعته) الشعاعية المستقلة بذاتها فلا ريب أنه ينبغي أن يلتزم ويعترف بوجود شمس حقيقية مستقلة ضمن كل جرم من هذه الأجرام المضيئة على حدة .. ومن

أراد أن يضحك من خرافة هذه النتيجة فليضحك قبل ذلك من خرافة المقدمة التي راح يزعمها ويتبناها.

٢ ـ إن على صاحب هذا القول أن يلتزم بأن شبراً واحداً من أي أرض معينة تنطوي على ما لا تنطوي عليه دول العالم كله من المصانع والمطابع والموارد الأولية المختلفة!... ذلك أن قدحاً واحداً من التراب الذي لا تزيد مساحته على شبر يمكن أن تستنبت فيه معظم أنواع نباتات وأزهار العالم على سبيل التناوب... فلو لم تكن قدرة الخالق العظيم هي التي تقذف في ذلك الشبر من الأرض قدرة التفاعل مع ما تستقبله من مختلف النباتات والبذور لتعطي كل منها ذاته وشكله وخصائصه إذاً لكان لا بد أن توجد في تلك التربة عناصر وقابليات متناقضة بل ينبغي كما قلت أن تكون طاقة الصناعات الأوربية كلها محشورة في ذلك الشبر من الأرض، إذ من المعلوم أن مواد النطف والبذور واحدة لا تختلف وهي عبارة عن مزيج من مولد الماء ومولد الحموضة والكربون والآزوت. ومواد الماء والهواء والحرارة والضياء هي الأخرى بسيطة لا تختلف في جريانها حول نبت وآخر ..

ومع ذلك فإن هذه النباتات تنبثق فوق ذلك الشبر من الأرض، كل واحد يحمل صفاتها وخصائصها ولونها ورائحتها فلا بد أن يوجد في ذلك التراب شيء آخر غير المواد المعروفة للتراب والبذور والهواء، يحد هذه البذور بخصائص التشكل والتميز...

فانظر وتأمل في مدى بعد هذا الكلام من الفكر والعقل!..

٣ـ اذكر هنا مثالاً كنت كتبته في بعض الرسائل الأخرى يوضح حالة المنتسبين إلى الطبيعة .. لنفرض أن في قلب بعض الصحارى بناء رائعاً مشيداً على أحسن طرز وأدق هندسة.. وصادف أن دخل هذا الصرح بدوي متوحش لم يسبق أن رأى في حياته غير صروح الخيام، فتأمل في براعته ونقوشه ومظاهر إتقانه، ثم حدث نفسه أن ليس في هذه الصحراء كلها من يقدر أن يبدع مثل هذا الإبداع ، فلا بد أن الباني يجثم في جوف البناء نفسه!.. ثم راح ينظر ويفتش عنه في الغرف من حوله فلم ير أحداً، ولكنه عثر على أوراق فيها خارطة البناء ومواده وتفاصيل هندسته، ففكر قليلاً أن هذه الأوراق لا يد لها ولا بصر فليس من شأنها أن تشيد بناء... ولكنه ما لبث أن عاد

فتعلق بها قائلاً : ولكن هاهي ذي تبحث عن قوانين تـشييده وكيفيـة تأليفه، إذاً فليس ثمة غيرها المشيد والباني!!...

فكذلك يدخل بدوي متوحش لم يهضم عقله إلا اسم الطبيعة، إلى صرح هذا الكون العظيم، فيدهشه أنه يرى إبداعا لا يجد مـن حولـه ـ بسبب عقله القاصر ـ من أبدعه، ويتأمل في ثناياه وأطرافه ، فيعثـر على اللوح الذي سجلت فيه قوانين الفطرة الإلهيـة وقواعـد صـنعته الإبداعية، المسماة خطأ بالطبيعة، فينبهـر لهـا ويحـث نفـسه ـ وهـو في غيبوبة عقلية تامة ـ أن لا بد أن هذا اللوح بقوانينـه هـو الـذي أبـدع هذا الإبداع وصنع هذا الصنع!..

ونحن نقول : أيها السكران الأحمق ، ارفع رأسك عن بئر الطبيعة وانظر وراءك إلى صانع الكون.. إن ذلك الذي بنى هذا الصرح ووضع أمام عينيك في جنباته قانون تشييده ودستور إيجاده إنما هو الخلاق الأزلي إله العالمين جل جلاله ، لا الطبيعة التي أنت أجحد منها وأجهل.

إن الطبيعة صنعة لا صانع.. نقش لا ناقش.. حكم لا حاكم .. شريعة لا شارع .. مخلوق لا خالق.. منفعل لا فاعل .. مسطرة لا مصدر.

فهرس المحتويات

المقدمة ٥

مقدمة الخطبة ١١

أمراض الأمة ١٢

مبادئ الدواء ١٣

المبدأ الأول... الأمل ١٣

الحجب التي منعت حقائق الإسلام ١٧

المبدأ الثاني... اليأس أشد الأمراض فتكاً بالأمم ٢٠

المبدأ الثالث... الصدق ٢٢

المبدأ الرابع... المحبة.................................٢٦

المبدأ الخامس ... الغيرة على المصلحة العامة ٢٨

المبدأ السادس... إقامة الشورى الشرعية ٣٤

من رسائل النور:

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ٣٧

سبب تأليف الرسالة «تعليق» ٣٧

الكلمة الأولى: أوجدته الأسباب ٤٠

المحال الأول الناتج عنها ٤٠

المحال الثاني ٤٢

المحال الثالث ٤٣

الكلمة الثانية: تشكل بنفسه ٤٤

الكلمة الثالثة: اقتضته الطبيعة!!.. .... ٤٧

فهرس المحتويات ٥١

- بديع الزمان سعيد بن ميرزا ، الكردي ، الشافعي ، النقشبندي
- ولد عام ١٢٩٣ للهجرة في قرية نورس التابعة لناحية إسباريت من أعمال ولاية بتليس
- كان والده الشيخ ميرزا صوفيا ورعا يضرب به المثل ، لم يذق حراما ولم يطعم أولاده من غير الحلال، و قد كان من فعله إذا عاد بمواشيه من المرعى أن شد أفواهها لئلا تأكل من مزارع الآخرين
- أما والدته الحاجة نورية فقد سألت عن كيفية تربيتها لأولادها فقالت : لم أفارق صلاة التهجد طوال عمري ولم أرضع أولادي إلا على طهر ووضوء
- كان من أوائل من وقف في وجه الصيحات اللادينية التي نادى بها مصطفى كمال بعد قضائه على الخلافة العثمانية الإسلامية وتسلمه للحكم في تركيا و تبنيه للإلحاد فيها
- كانت رسائل النور التي أملاها الشيخ على تلاميذه ومحبيه أكبر دفاع عن الإسلام و الشريعة الغراء.

❁ امتحن و سجن و الـزم العـيش وحـده عـلى كـبر سـنه في مدينـة إسبارطة و لا معين له من زوجة ـ حيث أنه لم يتزوج ـ و لا ولد

❁ وقبل وفاته بأيام قليلة خرج من منفـاه متوجهـاً إلى مدينـة أورفـة حيث ما لبث فيها يومين ومن ثم نعي إلى العـالم الإسـلامي وفـاة بديع الزمان النورسي بتاريخ ٢٧/ رمضان/ ١٣٧٩

❁ من كلماته التي سار بها الركبان :

لو أن لي ألف روح لما ترددت أن أجعلها فداء لحقيقة واحـدة مـن حقائق الإسلام ... فقد قلت : أنني طالب علم لذا فأنا أزن كل شيء بميزان الشريعة ، إنني لا أعترف إلا بملة الإسلام ، إنني أقـول لكـم وأنا واقف أمام البرزخ الذي تـسمونه (الـسجن) في انتظـار القطـار الذي يمضي بي إلى الآخرة، لا لتسمعوا أنتم وحدكم بل ليتناقله العالم كله، ألا لقد حان للسرائر أن تنكشف وتبدو من أعماق القلب، فمـن كان غير محرم فلا ينظر إليها.

إنني متهيئ بشوق لقدومي للآخرة... و أنا مستعد للـذهاب مـع هؤلاء الذين علقوا في المشانق...

تصوروا ذلك البدوي الذي سمع عن غرائب استانبول ومحاسنها فاشتاق إليها، إنني مثله تماماً في شوقي إلى الآخرة و القدوم إليها. إن نفيكم إياي إلى هناك لا تعتبر عقوبة.

فليعش الجنون

وليعش الموت

وللظالمين فلتعش جهنم ....

بديع الزمان سعيد النورسي